

أحاديث رمضان ١٤٢٩ هـ - خطاب الله جل جلاله للمؤمنين - الدرس (١٤ - ٣١) : يَا أَيُّهَا الَّذِينَ
آمَنُوا لَا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ

لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: ٢٠٠٨-٠٩-١٤

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين، أخرجنا من
ظلمات الجهل والوهم إلى أنوار المعرفة والعلم، ومن وحول الشهوات إلى جنات القربات.

عدم أداء الفرائض وفعل المحرمات خيانة لله تعالى:

أيها الأخوة الكرام، مع درس جديد من
دروس يا أيها الذين آمنوا آية اليوم:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَخُونُوا اللَّهَ
وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ
(٢٧) وَاعْلَمُوا أَنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ
فِتْنَةٌ وَأَنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ (٢٨) ﴾

(سورة الأنفال)



أيها الأخوة، قال بعض العلماء لا تخونوا الله أي لا تعطلوا فرائضه، ولا تتجاوزوا حدوده، لا تخونوا
الله والرسول لا ترفضوا سنته، ولا تفسوا سره، وتخونوا أماناتكم هنا نقف وقفة متأنية، يعني حينما لا
تؤدي الفرائض وحينما لا سمح الله ولا قدر يفعل الإنسان المحرمات، عدم أداء الفرائض وفعل
المحرمات هي خيانة لله، وعدم قبول سنة رسول الله خيانة لرسول الله.

هناك أمانات كثيرة معلقة في عنق الإنسان منها:

١ . أمانة التكليف:

أما معنى وتخونوا أماناتكم وأنتم تعلمون، الله عز وجل قال:

﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا (٥٨)﴾

(سورة النساء)



جاءت جمعاً وهنا ما قال وتخونوا
أمانتكم،

﴿وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ﴾

الأمانات جاءت جمعاً لأن هناك أمانات
كثيرة معلقة في عنقك، أول هذه
الأمانات أمانة التكليف:

﴿إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا

الْإِنْسَانُ﴾

(سورة الأحزاب الآية: ٧٢)

كلفك أن تعرفه من خلال خلقه، ومن خلال قرآنه، ومن خلال أفعاله، ثم أعطاك منهجاً عن طريق
رسوله، كلفك أن تطبق هذا المنهج، ثم أمرك أن تتقرب إليه بالعمل الصالح، فلا بد من أن تفعل هذه
الأشياء هذه أمانة التكليف، كلفك أن تعرفه، وأن تعبد، حتى تسعد بقربه في الدنيا والآخرة، أما
الأمانة هي نفسك التي بين جنبيك، سلمها الله لك، جعلها أمانة بين يديك:

﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا {٩}﴾

(سورة الشمس)

عرفها بربها، حملها على طاعته، قربها من ربها بالأعمال الصالحة، فاتصلت به، وزكت وسمت،
وسعدت في الدنيا والآخرة:

﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا {٩} وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا {١٠}﴾

(سورة الشمس)

هذه الأمانة الأولى أمانة التكليف.

٢ . أمانة التبيين للعلماء:

إذا كنت عالماً تعلق في رقبتك أمانة التبيين:

﴿الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالَاتِ اللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ (٣٩)﴾

(سورة الأحزاب)

٣ . أمانة التبليغ للأنبياء:

العلماء يبينون، الأنبياء يبلغون:

﴿ يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ

النَّاسِ (٦٧) ﴾

(سورة المائدة الآية: ٦٧)

هذه أمانة الأنبياء، أمانة العلماء أن يبينوا، أن يوضحوا، أن يبينوا دون أن تأخذهم في الله لومة لائم:

﴿ الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالَاتِ اللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ (٣٩) ﴾

(سورة الأحزاب)

هذه أمانة التبیین.

٤ . أمانة الولاية للحكام:

هناك أمانة الولاية، هذه الأمانة توضحها فاطمة بنت عبد الملك زوجة الخليفة الزاهد عمر بن عبد العزيز، تروي فاطمة بنت عبد الملك أنها دخلت على عمر زوجها يوماً في مصلاه، فوجدته واضعاً يده على خده ودموعه تسيل، فقالت له ؟ ما بالك وفيما بكأوك ؟ قال: ويحك يا فاطمة إني قد وليتُ هذا الأمر، ففكرت في الفقير الجائع، والمريض الضائع،



والعاريّ المجهول، واليتيم المكسور، والمظلوم المقهور، والغريب، والأسير، والشيخ الكبير، والأرملة الوحيدة، وذو العيال الكثير والرزق القليل، وأشباههم في أطراف البلاد، فعلمتُ أن الله سيسألني عنهم جميعاً يوم القيامة، وأن خصمي دونهم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم، فخشيتُ ألا تتبّت حجتي، فلهذا أبكي.

سلمك الله مقاليد البشر، هذه أمانة الولاية، لذلك أحد أصحاب النبي الكريم قال يا رسول الله ألا تَسْتَعْمِلُنِي ؟ . أي في وظيفة أو منصب . قَالَ: فَضَرَبَ بِيَدِهِ عَلَى مَنْكِبِي، ثُمَّ قَالَ:

((يَا أَبَا ذَرٍّ، إِنَّكَ ضَعِيفٌ، وَإِنَّهَا أَمَانَةٌ، وَإِنَّهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ خَزِيٌّ وَنَدَامَةٌ إِلَّا مَنْ أَخَذَهَا بِحَقِّهَا، وَأَدَّى

الَّذِي عَلَيْهِ فِيهَا))

[مسلم عن أبي ذر]

الأولى أمانة الولاية.

٥ . أمانة التولية لتعيين الموظفين:

الآن أمانة التولية، سيدنا عمر يتحمل أمانة الولاية، الآن سوف يولي عاملاً أي محافظاً، ماذا تفعل إذا جاعك الناس بسارق أو ناهب ؟ قال: أقطع يده، قال: إذا فإن جاعني من رعيئك من هو جاع أو عاطل فسأقطع يدك، إن الله قد استخلفنا عن خلقه لنسد جوعتهم، ونستر عورتهم، ونوفر لهم حرفة، فإن وفينا لهم ذلك تقاضيناهم شكرها، إن هذه الأيدي خلقت لتعمل، فإذا لم تجد في الطاعة عملاً التمسست في المعصية أعمالاً، فاشغلها بالطاعة قبل أن تشغلك بالمعصية.

هذه أمانة التولية، الآن دخلنا في أمانة الواجب، أمانة التكليف، أمانة التبليغ للأنبياء، أمانة التبيين للعلماء، أمانة الولاية للحكام، أمانة التولية لتعيين الموظفين، أي من ولي واحداً على عشرة، وفي الناس من هو أرضى منه الله عز وجل فقد خان الله ورسوله، ودائماً البلاد المتخلفة تبني علاقاتها على أساء انتمائي، بينما الدول المتقدمة تبني مقاييسها على أساس موضوعي، والفرق كبير بين أن تكون المقاييس انتمائية أو أن تكون المقاييس موضوعية.

٦ . أمانة الواجب:

أمانة الواجب ملخصة في هذا الحديث:



((كُلُّكُمْ رَاعٍ وَمَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، فَالْإِمَامُ رَاعٍ، وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، وَالرَّجُلُ فِي أَهْلِهِ رَاعٍ، وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، وَالْمَرْأَةُ فِي بَيْتِ زَوْجِهَا رَاعِيَةٌ، وَهِيَ مَسْئُولَةٌ عَنْ رَعِيَّتِهَا، وَالْخَادِمُ فِي مَالِ سَيِّدِهِ رَاعٍ، وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ))

[متفق عليه عن عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا]

هذا حديث شامل يجمع أنواع أمانة الواجب.

إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا:



المريض أمانة في عنقك فهل حرصت على شفائه؟

لو دخلنا في التفاصيل أنت معلم هذا الطالب أمانة في عنقك هل اعتنيت به؟ هل علمته؟ هل وجهته؟ هل لاحظت نقاط ضعفه؟ هل حاولت أن تُقوم أخلاقه؟ هل حاولت أن تصلحه؟ هو أمانة في عنقك، أنت طبيب هذا المريض أمانة في عنقك هل حرصت على شفائه، أم على ابتزاز ماله؟ فرق كبير، فالطبيب مؤتمن على مرضاه،

والمحامي الموكل أمانة في عنقك هل صدقته؟ هل نصحته؟ قلت له هذه الدعوى لا تتجح، أم أوهمته أنها تتجح وأنت تماطل حتى سحبت منه مبالغ طائلة، فالموكل أمانة في عنق المحامي، الطالب أمانة في عنق المدرس، والمريض أمانة في عنق الطبيب.

الآن الأبنية، والمنشآت، والجسور، والطرق، أمانة في عنق المهندس الذي صممها، والمهندس الذي نفذها، والمهندس الذي تسلمها، أحياناً يكون في خطأ بالتسليم ينهار البناء قبض مبلغاً قبل البناء.

الصناعة والحرفة أمانة في عنق الصانع هل أتقنها؟ هل حسنها؟ هل طورها أم أهملها فكانت العيوب والنقائص وكان للخلل والفساد؟

لشجرة والنبته أمانة في عنق الزارع هل رشها بهرمونات فأصبحت الفواكه مسرطنة؟ هناك أسمدة تدخل في تركيب الفاكهة يسمونه سماد بنائي مهما غسلتها المادة المسرطنة دخلت فيها يسمونها



هل أتقنت حرفةك؟

أسمدة جهازية، بخ الهرمون خنت الأمانة، لم تصدق الموكل خنت الأمانة، لم تعلم هذا الطالب خنت الأمانة، لم تهتم بهذا المريض خنت الأمانة، لم تهتم بهذا الموكل خنت الأمانة:

﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا﴾ (٥٨)

(سورة النساء)

المستهلك أمانة في عنق البائع هل نصحه ؟ هل غشه ؟ هل كذب عليه ؟ هل غشه في النوع أو في الكم أو في المنشأ أو في السعر ؟ البيوع أمانة، الديون أمانة، المواريث أمانة، هل وزعت الإرث وفق شرع الله أم حرمت البنات ؟ خنت الأمانة، والله أيها الأخوة متعلق برقبة الإنسان عشرات ألوف الأمانات:

﴿ فَوْرِيكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ (٩٢) عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ (٩٣) ﴾

(سورة الحجر)

٧ . أمانة الأعراض:

هناك أمانة الأعراض هذه المرأة التي نوهت إلى أنها ليست مستقيمة هل عندك دليل صحيح ؟ هل أنت متأكد أم كلمة سمعتها فرددتها ؟ فنف محصنة يهدم عمل مئة سنة. هناك أمانة الأعراض، أمانة هذه الحواس:

﴿ يَغْلُمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ (١٩) ﴾

(سورة غافر)

٨ . الأمانة العلمية:

هناك أمانة علمية هل هذا الكتاب من تأليفك أم ترجمته وعزوته إليك ؟ خيانة بالتأليف، في حقوق الابتكار أمانة أيضاً.

دين الإنسان ليس في المسجد إنما دينه يتجلى من خلال معاملته للآخرين:

أيها الأخوة:

﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا (٥٨) ﴾

(سورة النساء)



دينك يتجلى في معاملتك للآخرين

لذلك المؤمن يعلم علم اليقين أن دينه ليس في المسجد، في المسجد تتلقى التعليمات وتقبض الثمن، تتلقى التعليمات بدرس العلم وتقبض الثمن أثناء الصلاة، أما الدين في بيتك، هذا البيت أقيمت فيه الإسلام، الدين في متجرك، يعني سامحوني لو ظننتم أنني أفسو، لو أحد غش المسلمين والله ألغى

عبادته كلها، من أين جئت بهذا الكلام ؟

السيدة عائشة رضي الله عنها قالت: قولوا لفلان: إنه ألغى جهاده مع رسول الله يعني هناك أمثلة لا تعد ولا تحصى ؛ لما أنت تضيف مادة مسرطنة للصناعة الغذائية هذه المادة المسرطنة تجعل اللون فاتح والسعر يرتفع، ضحيت بصحة الناس من أجل مبلغ يسير أنت ماذا رأيت ؟ رأيت هذا المبلغ الذي حصلته من هذا الغش، ومن إيذاء الناس بصحتهم أكبر عندك من الله، ألغيت عبادتك، لما دواء ينتهي مفعوله وتحاول أن تطمس مكان نهاية المفعول ثمنه ثمانمئة ليرة تبيعه، صلاتك وصومك وحجك وزكاتك ما عاد لها معنى سقطت، أنا لا أقسو أنا أتكلم ما أعتقد، الدين في محلك التجاري، الدين في عبادتك، الدين بمكتبك، الدين بالحقل، الدين بالصف، الدين بالتعامل اليومي، الدين بالبيع والشراء ، هذا هو الدين، تأتي إلى المسجد أهلاً وسهلاً بك هذا بيت الله، بيوتي في الأرض المساجد، وإن زوارها هم عمارها، فطوبى لعبد تطهر في بيته، ثم زارني، وحق على المزور أن يكرم الزائر.

لما أنت تستقيم في بيتك، وفي عملك، وفي حرفتك، لا في كذب، ولا إيهام، ولا في تدليس، ولا في تدجيل، ولا في غش، ولا في تقصير، تقدم سلعة متقنة بسعر معتدل، الآن الخط مع الله ساخن، خط ساخن، الله عز وجل ينتظر عندئذ يتجلى على قلبك، عندئذ يوفقك.

من لم يستقم على أمر الله عز وجل لن يقطف من ثمار الدين شيئاً:

أخوانا الكرام، الدين له شكل، له إطار، وله مضمون

لن تقطف من ثمار الدين شيئاً إلا إذا استقيمت على أمر الله، والمستقيم على أمر الله يعلم علم اليقين كيف أن الله يحفظه، ويوفقه، ويرعاه، ويدعمه، ويدافع عنه، ويحفظه، وينصره، هذه المعية الخاصة ثمنها الاستقامة، أنا أتصور أن الدين كله بكل تفاصيله، بكل فروع، بكل نشاطاته، يضغط بكلمة واحدة هي الاستقامة، إن استقيمت على أمر الله



تقطف كل ثمار الدين، وإن لم تستقم على أمر الله لن تقطف من ثمار الدين شيئاً، وفروا وقتكم وجهدكم، إنسان ألف أن يصلي الصلوات الخمس، وأن يصوم رمضان، وأن يحج البيت، لكن يبيع بضاعة محرمة أو يغش في بضاعة ليست محرمة، ممكن أن تأتي بشرط ذهبي مكتوب صنع في فرنسا تضعه على قماش مع المكواة هذا بضاعة فرنسية هي بضاعة من أسوأ دولة، أنا تصوري إن

فعلت هذا ألغيت كل عباداتك، ممكن تختار للمريض ستاند لقلبه هناك ستاند نسبة النكسة فيه ٢٠ بالمئة لكن معه عمولة عشرة آلاف، وهناك آخر نسبة النكسة فيه ثلاثة بالمئة لكن ما معه عمولة، أقسم لكم بالله لو اخترت الأول مع العمولة صارت نسب النكسة عند المريض ٢٠ بالمئة ألغيت كل عباداتك، ألغيت صلواتك، وصيامك، وحجك، وزكاتك، أنا هذا إيماني، ما لم تستقم على أمر الله لن تقطف من ثمار الدين شيئاً.

محاسبة الله عز وجل كل إنسان على عمله يوم القيامة:

وفروا وقتكم وجهدكم، ما لم تستقم على أمر الله، ما لم تكن صادقاً، والله عندك أقمشة جاعك إنسان قال لك أتمنى عليك أن تختار لي اللون الجميل أنت عندك لون كاسد لا يباع معك قلت له هذا أحلى لون، بالسعر ما غشيت، بالنوع ما غشيت، لكن غشيت باللون، خنت الأمانة والله سوف يحاسب الإنسان عن أعماله كلها بهذه الطريقة:

﴿ فَوَرَبِّكَ لَنَسَأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ * عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾

(سورة الحجر)

﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا (٥٨) ﴾

(سورة النساء)



أنت طبيب وعندك مريض ومرضه ليس من اختصاصك، إذا ما تدله على الطبيب الاختصاصي وتتخلى عن معالجته خنت الأمانة، إذا عملت مذاكرة للطلاب مستواها صعب جداً، فأخذ معظم الطلاب أصفاراً واستدعيت أولياءهم أطلعتمهم على هذه النتائج، وتعاهدت لهم بدروس خاصة كل درس بألف ليرة أنت السبب، أنت عملت

مذاكرة غير معقولة خنت الأمانة، والله أساليب الاحتيال والغش لا يعلمها إلا الله، والمسلم حينما يفعل هذا سقط من عين الله، وخان الأمانة، وأصبح محجوباً عن الله عز وجل، أنا أتكلم الواقع، أتكلم من أساليب لا تعد ولا تحصى، من الغش والخداع في البيع والشراء، والذي يفعل هذا مسلم، ويصلي في المسجد، وله شيخ، وله عبارات لطيفة، تباركنا يا سيدي، ما شاء الله، ما هذا الدرس شيء رائع جداً، ويغش الناس، الله عز وجل كل هذه المظاهر لا قيمة لها عنده:

﴿ فَاسْتَقِمَّ كَمَا أَمَرْتَ وَمَنْ تَابَ مَعَكَ ﴾

(سورة هود الآية: ١١٢)

((وَإِنَّ اللَّهَ أَمَرَ الْمُؤْمِنِينَ بِمَا أَمَرَ بِهِ الْمُرْسَلِينَ))

[أخرجه مسلم والترمذي عن أبي هريرة]

أد الذي عليك واطلب من الله الذي لك:

استقم على أمر الله تماماً ولو لم يكن مظهرك دينياً، إنسان مدني عادي امشي صح قريب من الله، الله عز وجل يلقي في قلبك السكينة وأنت موفق، وأنت منتصر، وأنت محفوظ، وأنت مكرم، صلاتك متقنة، صلاتك فيها خشوع، فيها سرور، فيها سعادة، استقمت على أمره

أنا أريد أن أضع يدي على جوهر الدين، هذا الأعرابي الفقير، فقير وغير متعلم، لقي ابن عمر راعي غنم قال له: بعني هذه الشاة وخذ ثمنها، قال له الراعي: ليست لي، قال: قل لصاحبها: ماتت (صعبة ألا تحل معك المشكلة؟) وخذ ثمنها، أو أكلها الذئب، يقول الراعي: ليست لي، يقول له: خذ ثمنها، يقول له الراعي: والله إنني لفي أشد الحاجة إلى



ثمنها، ولو قلت لصاحبها: ماتت أو أكلها الذئب لصدقتي، فإني عنده صادق أمين، ولكن أين الله؟ هذا الراعي البسيط وضع يده على جوهر الدين.

والله أيها الأخ الكريم لما تستقم تماماً تحس بسعادة لا توصف، تحس بقرب من الله، تحس بتوفيق، تحس بقوة شخصية، تحس بأمن، تحس برضا، تحس بعزة وكرامة، أنت مع الله، لكن غش الناس، اكذب عليهم، حجت عن الله، انتهيت عند الله عز وجل، فأنا أتمنى أن يكون هذا الدرس:

﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا (٥٨) ﴾

(سورة النساء)

أد الذي عليك واطلب من الله الذي لك.

والحمد لله رب العالمين